سلسلة كتيبات شبكة بينونة

النص الشرعي

بين التسليم والعقل

الجزء الأول

الشيخ د. سعيد بن سالم الدرمكي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

النص الشرعي

بين التسليم والعقل

النص الشرعي

بين التسليم والعقل

الجزء الأول

الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرملي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد

فمن نعمة الله علىٰ البشرية أن بعث إليها النبيّ محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخرجهم من ظلمات الجاهلية والكفر والشرك إلىٰ نور التوحيد والهداية، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، وأيده سبحانه وتعالىٰ بالوحي، قال عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]، وجعل الهداية في اتباع هذا الوحي المنزل علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]،

وجعل الهداية في اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسير علىٰ سنته وهديه، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

فالوحي المنزل علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشمل القرآن المتلو، والسنة الصادرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولاً كانت أو فعلاً أو تقريراً، روىٰ الأوزاعي عن حسان بن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٠ هـ) أنه قال: «**كان جبريل ينزل علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن**»[(١)].

فمصدر الكتاب والسنة واحد وهو الوحي، ولكن غاير الله بينهما في بعض الأحكام، فجعل القرآن أصلاً، والسنة

(١) رواه الدرامي في سننه

أصلاً آخر متعلق بالقرآن تفصيلاً وبياناً، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]

فمبنىٰ الدين كله علىٰ الوحي، ولذلك أمر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين باتباع الوحي المنزل علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦] وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣] وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾. [يونس:١٠٩]

فلا تجد حكماً متعلقاً بالدين إلا ودليله الوحي، كتاباً أو سنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٩٠): «فَيَأْخُذُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعَ دِينِهِمْ

مِنْ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ مُخَالِفًا لِلْعَقْلِ الصَّرِيحِ، فَإِنَّ مَا خَالَفَ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ بَاطِلٌ». ا.هـ

ولذلك عظّم الله نصوص الوحي، وأمر بالتمسك بها والعمل بها، فجاءت الآيات الكريمة حاثة المسلم علىٰ التسليم لهذا النص الشرعي الثابت، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢]

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] ، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ

تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٤] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[الأحزاب:٣٦]

وبيّن الله سبحانه أن من يعرض عن التسليم للنص الشرعي فإنما يتبع هواه، وأنه من أهل الظلم والضلال، فقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠]

فالمسلم يسلم لنصوص الوحي فيما يتعلق بالغيبيات ، وما يتعلق بالأخبار والقصص الواردة في النص، والتسليم للأوامر والنواهي الشرعية، سواء علمنا الحكمة منها أو لم نعلم.

ولو تأملنا الآيات التي يذكر الله فيها صفة الاستسلام للوحي الإلهي نجد الله سبحانه وتعالىٰ يربطه بالإيمان،

قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وقول الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢]

ومن صفة أهل الإيمان الإيمانُ بجميع ما أنزله الله علىٰ رسوله ﷺ مع السمع والطاعة، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥]

وهذا يقتضي من المؤمن أن يجعل النص الشرعي الصحيح الثابت وهو الوحي الإلهي حكمًا عليه، لا أن يتحكم هو فيه وفي قبوله أو رده، لذلك نهىٰ الله عباده

المؤمنين عن التقدم علىٰ النص الشرعي الثابت، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات:١]

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: « **هذا متضمن للأدب، مع الله تعالىٰ، ومع رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ**، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ**، في جميع أمورهم، و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتىٰ يقول، ولا يأمروا، حتىٰ يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته تفوته السعادة الأبدية والنعيم السرمدي، وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **علىٰ قوله، فإنه متىٰ استبانت سنة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **وجب اتباعها،**

وتقديمها علىٰ غيرها كائنا ما كان». ا.هـ

وعلىٰ هذا الأمر كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومن مواقفهم الدالة علىٰ تسليمهم للوحي:

١- ما رواه البخاري ومسلم عن زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَبَّلَ الْحَجَرَ وَقَالَ: **«لَوْلاَ أَنِّىْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ».**

فالدافع لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في تقبيله الحجر التسليم للسنة المتمثلة في فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، دون أن يعارض ذلك برأي أو قياس.

٢- وعن مَالِك بْن مِغْوَلٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا حَصِينٍ قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: لَمَّا قَدِمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ مِنْ صِفِّينَ أَتَيْنَاهُ نَسْتَخْبِرُهُ، فَقَالَ:« **اتَّهِمُوا الرَّأْي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِىْ جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمْرَهُ لَرَدَدْتُ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».**

وهذه الحادثة كانت في غزوة الحديبية، فقد صُعب علىٰ بعض صحابة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما رأوه من الحال التي تمت فيها المصالحة، فلم يستطيعوا أن يدخلوا مكة ليعتمروا، ولا أن يستنقذوا أبا جندل بن سهيل وقد جاءهم يطلب نصرتهم، حتىٰ أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جاء إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وإلىٰ أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يستشكل الحال التي هم عليها، فكان مما رد عليه أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن قال له: «**أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **وَلَيْسَ يَعْصِىٰ رَبَّهُ وَهْوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَىٰ الْحَقِّ**»(٢).

٣-ومن صور ذلك: حال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في غزوة الأحزاب، قال الله تعالىٰ في وصف الحال: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(٢) رواه البخاري

وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٠-١٢]

أما المؤمنون الصادقون فكان قولهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢]

قال ابن كثير في التفسير (٦/ ٣٩٢): « أَيْ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ الَّذِي يَعْقُبُهُ النَّصْرُ الْقَرِيبُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾... وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ ﴾ أَيْ: ذَلِكَ الْحَالُ وَالضِّيقُ وَالشِّدَّةُ مَا زَادَهُمْ ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا ﴾ بِاللهِ، ﴿وَتَسْلِيمًا ﴾ أَيِ: انْقِيَادًا لِأَوَامِرِهِ، وطاعة لرسوله».

٤- ومن صور تسليم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للوحي: ما رواه عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:« بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَىٰ الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ»[٣].

فجاء تطبيقهم للنص والعمل به من فورهم دون تأجيل وتأخير، فقد كان بإمكانهم أنّ يستمروا علىٰ حالهم في الصلاة مستقبلين جهة بيت المشرق، علىٰ أن يستقبلوا الكعبة في صلاة الظهر، ولكنهم ولتعظيمهم لأمر الله ورسوله امتثلوا الأمر من فورهم.

٥- ومن صور تسليم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للوحي ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **« كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ مِنْ فَضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ . فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ قُمْ يَا أَنَسُ**

(٣) رواه البخاري

فَأَهْرِقْهَا، فَأَهْرَقْتُهَا»(٤).

فها هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتيهم خبر الوحي وتحريمه للخمر، فيستسلمون له من فورهم امتثالاً، وقد كانت الكؤوس في أيديهم.

٦- **عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: « كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ، قَالَتْ وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ»**(٥).

فها هو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الله عنه يغار علىٰ زوجته أن تخرج لصلاة الجماعة في المسجد، ومع ذلك يقدم الحكم الشرعي علىٰ ما في نفسه وهواه.

٧ - ومن صور تسليم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للوحي ما ورد

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا نُحَاقِلُ الأَرْضَ - أي: نتعامل فيها بالمزارعة - عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُكْرِيهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّىٰ، فَجَاءَنَا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ مِنْ عُمُومَتِي فَقَالَ: نَهَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا، نَهَانَا أَنْ نُحَاقِلَ بِالأَرْضِ فَنُكْرِيَهَا عَلَىٰ الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّىٰ، وَأَمَرَ رَبَّ الأَرْضِ أَنْ يَزْرَعَهَا أَوْ يُزْرِعَهَا، وَكَرِهَ كِرَاءَهَا وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ».

فتأملوا إلىٰ قول الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا»، فكانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الله عنهم يرون أن النفع في فعلهم، ولكنهم قدموا طاعة الله ورسوله، ورأوا أن النفع المترتب عليها أعظم.

٨- ومن صور تسليم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للوحي: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ

وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا.

فكانت الاستجابة فورية وسريعة، رغم تعلقهم بالخمر، واعتيادهم عليها دهرا طويلاً، ولكنّ قوة الإيمان تروض النفوس وتجعلها منقادة للشرع.

٩- ومن صور تسليم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للوحي ما ورد عَنِ الْحَسَنِ قال في قول الله سبحانه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ قَالَ: «حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، قَال: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّىٰ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لاَ وَاللهِ لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا».

وَكَانَ رَجُلاً لاَ بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنَّ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾، فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا

رَسُولَ اللهِ . قَالَ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

وفي رواية: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، فَتَرَكَ الْحَمِيَّةَ وَاسْتَقَادَ لأَمْرِ اللهِ(٦).

وعند الترمذي: «فَقَالَ لَهُ يَا لُكَعُ أَكْرَمْتُكَ بِهَا وَزَوَّجْتُكَهَا فَطَلَّقْتَهَا، وَاللهِ لاَ تَرْجِعُ إِلَيْكَ أَبَدًا آخِرُ مَا عَلَيْكَ، قَالَ: فَعَلِمَ اللهُ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا وَحَاجَتَهَا إِلَىٰ بَعْلِهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْقِلٌ قَالَ: سَمْعًا لِرَبِّيْ وَطَاعَةً، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ».

فهذه الروايات تبين لك إصرار معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ موقفه الرافض لتزويج أخته من زوجها الذي طلقها، ولكنّ هذا الموقف تغير مع تسليم ورحابة صدر بمجرد سماع النص القرآني.

---

(٦) رواه البخاري

١٠- ومن صور تسليم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنص الشرعي ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ». فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ.

قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ».

فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ، حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ». وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ،

فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ».

فعلىٰ الرغم من الترغيب العظيم الذي ذكره النبي ﷺ للصحابة: «**أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ولكن لم يجبه أحد بسبب شدة الموقف، ولكن لما تعين الأمر، فوجهه النبي ﷺ إلىٰ حذيفة رضي الله عنه لم يكن له بد من الاستجابة والطاعة، فقال رضي الله عنه: «**فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ**».

ثم تأملوا بركة تطبيق السنة، فرغم شدة البرد والريح الشديدة شعر حذيفة رضي الله عنه بالدفء، وما عاد إليه البرد حتىٰ انتهىٰ من تنفيذ أمر النبي ﷺ.

وعلىٰ هذا سار الصحابة رضي الله عنهم والعلماء الربانيون من بعدهم.

وللحديث بقية ...

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية